

الفن في عصر صدر الاسلام :

اصاب الفن عموما في مطلع العصر الاسلامي الفتور ان لم يكن قد تحجم بسبب الظروف التي راقت ظهور الاسلام نتيجة انشغال المسلمين بنشر الدين الجديد وسيادة حياة الزهد والتقشف وانصراف المسلمين الى الجهاد في سبيل الله ولم نشهد اي نموذج من نماذج الفنون في تلك الحقبة سوى استمرار استخدام التحف الفخارية والمعدنية وغيرها من الفنون التطبيقية والتي لايمكن تميز ماصنع منها في عصر صدر الاسلام مع ما كان متداولاً منذ عصر قبل الاسلام والتي لايمكن الاستغناء عنها في الاستخدامات المنزلية اليومية .

الرسوم الجدارية في العصر الاسلامي : كان الانسان قد عرف الرسم الجداري منذ ظهوره على الارض , واعتمد الرسم الجداري وكما اشرنا سابقا لغايات شتى تعبدية وشعائرية في اغلب الرسوم هذا فضلا عن الغايات السياسية والاعلامية والاقتصادية والجمالية . اما في عصر صدر الاسلام فقد اصاب هذا الفن الفتور شأنه شأن الفنون الاخرى لابل اكثر حدة من غيره من الفنون لما ساد من موجة كراهية رسم الكائنات الحية وفق مفهوم الرسم والتصوير في القرآن الكريم والذي يعني الخلق وهو للخالق وحده ومن اسمائه (المصور } والله سبحانه قد اختص بتصوير خلقه (هو الخالق الباري المصور له الاسماء الحسنى ...) (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لاله الا هو العزيز الحكيم) وقال سبحانه وتعالى متحديا المصورين والنحاتين واصحاب الرسوم والصور التي تضاهي الخالق في حديث قدسي نقله ابو هريره عن الرسول (ص) (ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي , فليخلقوا ذرة اوليخلقوا حبة او ليخلقوا شعيره) وما تواتر من احاديث منسوبة الى الرسول الكريم (ص) تنهي عن رسم وتصوير الكائنات الحية باعتبار ان العرب المسلمين لازالوا حديثي عهد بالجاهلية ولازال تلك الرسوم وانواع النحت تعيد الى اذهانهم صورة ديانة الشرك وتعدد الاله التي كانت راسخة في اذهانهم قبل الاسلام ,ومن بين تلك الاحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالرسم والتصوير :

(ان اشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون) , (من صور صوره فان الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها ابدا) (لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولاصورة تماثيل)

هذا فضلا عن ان الرسول (ص) قد نهى عن اي رسم او تصوير في المسجد او البيوت لكي لا تلهي تلك الرسوم او التصاوير المصلين اثناء اداء صلاتهم وقد ينصرف اليها ذهن المصلي . فقد ذكر عن الرسول (ص) انه دخل يوما على عائشة (رض) فوجد انها وضعت على مدخل حجرتها سترا عليه رسوم وصور فاشار عليها ان تزيل هذا الستار قائلا ان هذه الصور تتراى لي في صلاتي . وفي حديث اخر عن عائشة انها اشترت نمرقه فيها تصاوير تقول فدخل علي رسول الله فقال مابال هذه النمرقه :قلت اشتريتها لتقعد عليها وتوسدها فقال (ص) (ان اصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم احياوا ما خلقتم) .

وطبقا لذلك فلم تصلنا نماذج للرسم الجداري من عصر الرسول (ص) وسار على نهجه الخلفاء الراشدين من بعده فقد جاء عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) قوله (اخشوشنوا فان النعم لاتدوم ، او اخشوشنوا فان الترف يزيل النعم) وعن الخليفة الرابع علي بن ابي طالب (ع) قائلا لابي الهياج الاسدي احدا من اصحابه (الا ابعثك على مابعثني رسول الله : ان لاتدع تماثالا ولا صورة الا طمستها) .

ان الاراء في كراهية التصوير او حرمة من اباحتها قد اخذت نقاشات واسعة وفتاوي متباينة عند شيوخ المذاهب الاسلاميه فيما بعد .. سنتطرق الى هذا الموضوع عند الحديث عن فن التصوير الاسلامي .

وخلاصة القول ان موضوع كراهية الرسم والتصوير جعل المسلمين ينصرفون الى اتقان الزخارف البعيده عن تجسيم الطبيعه والابتعاد عن تمثيل كل ما له علاقه بذوات الارواح ونجدهم قد تفوقوا في فن العمارة والابداع في الزخارف النباتية والهندسية والكتابية حتى ارتفعت مكانة الخطاطين والمذهبيين وانتجوا مخطوطات ثمينه جدا .

الرسوم الجدارية في العصر الاموي :

انتهج الخلفاء الامويين نهجا مختلفا تماما في كل نواحي الحياة عما هو عليه في عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين وتأثروا ببلاط الامم الاجنبية فهذا معاوية بن ابي سفيان يقول (انا اول الملوك) فأثروا الترف والدعة ومالوا الى مباحج الحياة وزخرفها واهتموا ببناء العمائر الفارهه ، فانتعشت الفنون بكل انواعها بعد ان تجمعت لديهم الاموال الطائلة نتيجة الفتوحات الواسعة في هذا العصر , وامتزاج الشعوب , وتأثر العرب بفنون الامم الاخرى اي الفنون الفارسية واليونانية والتي ظهرت سمات تلك الفنون واضحة في الفن العربي الاسلامي الناشئ.

وشاع فن الرسم الجداري في هذا العصر اي العصر الاموي معتمدا الرسام طرقا مختلفة ,

اولا: طريقة الرسم بالالوان المائية وتتخلص هذه الطريقة بان يطلى الجدار المراد تنفيذ مشهد الرسم عليه بطبقة ناعمة من الجص , ثم يبدأ الرسام بتنفيذ الرسم والملاط الجصي لازال رطبا- اي لم يجف بعد- لتتشرب الالوان بالمسامات الجصية حتى يجف لتفادي تساقط الرسم .

ثانياً: التجسيم : وينفذ بطريقة الترقيين وذلك بأستخدام الخطوط البيضاء للضوء والخطوط القائمة للظلال , وقد ذاعت شهرة هذه الطريقة في شتى انحاء العالم الاسلامي .

اقبل الفنانون على تزيين سطوح الجدران بالرسوم الجدارية في الابنية المختلفة في العصر الاموي وتعد تلك الرسوم التي وصلتنا من تلك الابنية من اقدم النماذج التي وصلتنا من العصر الاسلامي وتشكل البدايات الاولى لنشأت الرسم الجداري في الاسلام ، الا ان هذه الرسوم قد جاءت متقنة وتعالج موضوعات سياسية ودينية واجتماعية وجمالية ، ذلك بسبب المرجعيات الفنية التي انتجت هذا الفن فلاشك ان الفن الاسلامي قد تأثر في بداية نشأته بالفنين الساندين في الشرق انذاك وهما الفن الروماني والفن الفارسي .

ان من اهم النماذج للرسوم الجدارية التي وصلتنا من هذا العصر هي تلك التي عثر عليها وهي تزين جدران القصور الاموية وحماماتها ومن اشهر تلك القصور الذي لازال قائما الى اليوم هو قصير عمره والذي سيكون نموذجا من بين العديد من النماذج لدراستنا للرسوم الجدارية في هذا العصر .

الرسوم الجدارية في قصير عمرة : سبق وان اشرنا ان هذا القصر يقع على بعد خمسين ميلا شرق مدينة عمان عاصمة الاردن ، وهو عبارة عن قصر صغير ملحقة حمام اكتشفه العالم

النمساوي الو موزيل سنة 1868م ويرجح بناءه الى الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96 هجرية) .

يتألف القصر (شكل 1) من قاعة استقبال مستطيلة لها ثلاث اروقة تقوم في نهايتها الشمالية جرتان صغيرتان وعلى الضلع الايمن يقوم حمام ثلاثي التخطيط اي يتألف من ثلاث حجر متداخلة احدهما تؤدي الى الاخرى عن طريق مداخل داخلية تمتد غربا متأثرة بتخطيط الحمامات الرومانية تبدأ بالحجرة الاولى وهي حجرة المنزع ومن ثم الحجرة الدافئة والتي تؤدي بدورها الى الحجرة الساخنة . زينت جدران قاعة القصر وحمامه الثلاثي بالرسوم الجدارية والتي تعد من اضخم الرسوم المائية التي لم يعثر على مثلها في مبنى من المباني المعاصرة له او اللاحقة والاروع ما فيها هي تنوع موضوعاتها من الجانب السياسي الى الصيد والاستحمام ورسوم لراقصات والالعاب الرياضية ورسوم دينية رمزية لالهة النصر والفلسفة والتاريخ والشعر ، وعلم الفلك (علم الهيئة او النجوم) برسم الابراج السماوية وتمثيل حركتها الدائرية في الكون ،

ومن اهم تلك النماذج

1-لوحة الملوك الستة : (شكل 2) جاءت ضمن مشهد جامع الى العديد من الموضوعات مرسوم بالفريسكو على الملاط الجصي للجدار الغربي لصالة الاستقبال، يبدو في الأعلى مشهد الصيد، وفي الأسفل من اليمين إلى اليسار: مشهد الرياضة، ومشهد المرأة اللعز ، ومشهد الملوك الستة. ونفذ الفنان رسم أولئك الملوك بصفين احدهما اسف الاخر كل صف يضم ثلاث ملوك ظهر فوق رؤوس اربع منهم اسمائهم وباللغتين اليونانية والعربية وهم :

1- كسرى ملك الفرس 2-هرقل ملك الروم 3-لوزريق ملك اسبانيا 4- النجاشي ملك الحبشة
اما الشخصيتين الباقيتين فقد سقطت الكتابة التي تدل على اسمائهم ويرجح الكتاب ان احدهم داهر ملك الهند والاخر ملك الترك
رسمت بجوار هذا المشهد امرأة عارية كتب فوق رأسها باليونانية Naki وتعني النصر (شكل 3)

وتظهر صورة لشخصية مهيبة في قاعة الاستقبال خالية من الكتابة ربما تدل على شخصية الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك وقد فسر الكتاب هذه اللوحة بأنها تمثل اعداء الاسلام الذين حققت الدولة الاموية انتصارا عليهم كما تفسر كلمة النصر باليونانية على راس الامراة العارية التي هي من المحتمل ان تكون افروديت الهة اليونان التي نفذت هنا رمزا للنصر فحسب .

2-صورة الامير او الخليفة الذي ربما ينسب اليه بناء القصر (الخليفة الوليد بن عبد الملك) (شكل 4)

3-صور الرقص : مثال لامرأة بثوب طويل في وضعية رقص وهي ترفع يديها الى الاعلى (شكل5)امام عازف على آلة موسيقية وقد حصرت هذه المشاهد داخل مناطق معينة ونفذت على جدران الحجرة الاولى من الحمام حجرة المنزع .

4-الابرار السماوية : ، وهناك مشهد في قبة صالة الحمام، هو عبارة عن تجسيد للسماء والأبرار السماوية، يعتبره علماء الآثار ذا أهمية لأنه على الأرجح أقدم تصوير للأبرار السماوية على سطح كروي (شكل6) .

5-مشهد الصيد وهو من أكبر المشاهد في القصر رجال على أحصنة وكلاب يطاردون غزلاناً وحميراً وحشية (شكل7).

6- دب يعزف على آلة موسيقية وهي تبدو من الرسوم المسلية صور مسلية لا نعرف اليوم مغزاها بالضبط، مثل صورة حيوان قد يكون دُباً يعزف على آلة موسيقية، وصورة لصياد يطارده أسد، ومشهد راقصين يقومون بحركات رياضية (شكل8)

7- مشهد لرسم حيوانات في حالة جري وهي تفر من الصياد (شكل 9)

8- الالهة اليونانية : واذا ماتمنا في ورسوم جدران هذا القصر ، نجده بمثابة احتفاء بعظمة الأمويين وأبهة خلافتهم. وهي تمثل وثيقة نادرة اليوم للنتعرف على مستوى الفن الأموي، الذي احتضن وتأثر بالفنون البيزنطية وتراث الحضارة اليونانية متمثلة فيما ظهر من الهة يونانية مثل الهة الشعر والفلسفة والحب ، ولم يتردد في رسم صور من حياة القصور: نساء ورجال شبه عراة، ألعاب رياضية، ومشاهد موسيقى ورقص، وهواية الخلفاء الأحب:



شكل 1



الستة

شكل 2 لوحة الملوك

شكل 3 لوحة المرأة العارية بجانب لوحة الملوك



شكل 4 الصورة التي يعتقد انها تمثل الخليفة الاموي



شكل 5 صورة الامراة الراقصة



شكل 6 الابراج السماوية



شكل 7 - مشهد صيد والعباب رياضية



شكل 8 دب يعزف



شكل 9 مشهد حيوانات في حالة جري



شكل 10 اللالمة اليونانية افروديت